على السفود

عباس محمود العقاد

— ١ —

يقول جول لمتر الناقد الفرنسى المعروف : «لا أكاد أفرغ من كتاب أقرؤه حتى يذهب بى الانفعال مذاهبه حزناً وفرحاً، وقد أضطرب من شدة السرور وكأنما خالطنى ذلك فى اللحم والدم »

احذف هذا الشعور النبيل القائم على الفهم والحق وعلى القلب والعقل ، وضع فى مكانه ألأم شعور وأخزاه يخرج لك عباس العقاد الجلف الأسوانى قائلا : «لا أكاد أفرغ من قراءة كلمة طيبة لأحد من خلق الله حتى أمتلىء حقداً وغما وأرانى أشعلت النار فى لحمي ودمى»

إن لم يقل هذا المغرور ذلك فقد قالته أفعاله فى ألأم لغة وأخس طبيعة، وهو دائب منذ عشرين سنة لا يعمل إلا بهذه القاعدة ولا تعمل فيه إلا هذه القاعدة وكان يظن أن الناس يهابونه ولكنه لما طرد أخيرا من جريدة البلاغ رأى حيطان الشوارع نفسها تكاد تشتمه وأيقن أنه أهون وأسقط من أن يعبأ به أحد، وعلم أن الاحترام كان لمنزلة جريدة البلاغ لا لمنزلته هو .

وماذا كان يعمل فى جريدة البلاغ ولماذا طرد منها ؟ كان الوفد يحتاج إلى سفيه أحمق يسافه عنه جريا على القاعدة الحكيمة القائلة : إن الكريم لا يحسن به أن يكون سفيها فيجب أن يتخذ له من يسافه عنه إذا شتم، فلم يروا أكفأ من العقاد وقاحة وجه وبذاءة لسان وموت ضمير وحمقاً أكبر من الحمق الانسانى ولؤم نفس بقدر مجموع كل ذلك

وما تقول فى كاتب يناقش الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة والكاتب الذكى والانسان الرقيق فيكتب فى صدر جريدة البلاغ كتب الولد المسطول !!! ويناقش خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم وهو كاتب سياسى محنك دقيق الفكر وقد زعم فى بعض

المسائل أنها مسألة إقتصادية فيقول له العقاد فى صدر البلاغ : إقتصادية ماذا يامغفل

فلما جاءت الوزارة الأخيرة و أخذت فى السياسة بالنزعة الأخلاقية وجعلت تنذر الصحف و تقفلها خاف صاحب البلاغ أن تجنى على أهلها براقش فاذا نبحت جرت عليهم الموت فلم يجد للعقاد معنى فطرده إذا أصبحت السفاهة معاقبا عليها فكأن ختامه زفت

ولكن هل لهذا العقاد قيمة حقيقة ؟ وهل يخشاه أحد من الأدباء كما يظن هو أو كما يخيل إلى بعض الناس فى خارج مصر ؟

أما أنا فأذكر للقراء أحدث دليل وقع من أيام فقط. وذلك ما يلغني من أن أديباً كبيراً أراد العقاد أن يواجهه بثومه فى مجلس رئيس تحرير مجله من أكبر المجلات فثار فيه الأديب وقال له فى وجهه بالحرف الواحد . أنت وقح سافل وأنا أحتقرك ولا أعرفك

هذه هى منزلة الرجل . وماذا تظنه فعل حين سمع هذا ؟ قال له دمه فى داخل ضميره : صحيح صحيح ! ! فسكت وقام وكاد الباب يصق فى وجهه .

الأمر كله وهم وخداع، كالخمار يلبس جلد الأسد . فلما رأى القراء هذا العقاد لا يكتب إلا سباباً وحقداً ولؤماً وتطاولا على الناس ودعاوى فارغة وتضليلا وإيهاماً بايراد آراء الفلاسفة وزعمه مناقشتها .ظنوا من تتابع كل هذا ما لابد أن يظنه الضعفاء ويتأثروا به من عمل التكرار . وقد قيل ان الذئب إذا واثب إنساناً ضال حواسه فجعل يثب بغاية السرعة أمامه وخلفه و يمينه وشماله وفوقه ليخيل اليه من تتابع هذه الحركة السريعة انه ذئاب كثيرة لا ذئب واحد، وبعبارة أخرى ليدير أمام عينيه « فلم » ذئاب سينما توغرافى كاذب لا حقيقة له و هكذا يفعل هذا الذئب البشرى العقاد .

ومن أين كل هذا وما سببه . نحن لا نجرى إلا على أحدث قواعد النقد . وهذه القواعد تقضى بأن الافكار راجعة إلى أحوال عصبية وأن ما فى داخل الانسان هو الذى يصنع ما فى خارجه، وكذلك الكاتب فى كتابته فلا تصل إلى حقيقتها إلا بعد أن تقف على حقيقة مشاعره وأخلاقه وطباعه وأصله وفصله هى وحدها تفسيره وتفسير ما يكتب وما يعمل .

على هذا الأصل يجب أن يعرف الناس هذا المخلوق المسمى العقاد . والذين قرؤا ما كتبته عنه جريدة الاخبار وعن مولده ! ! يعرفون أن مثل هذا المخلوق ظل العالم

كله فى نظره كالشارع الذى يلقى فيه اللقيط فهو لا يرى له مكاناً ولا سكاناً والعالم وأهله فى ناحية وهو وحده فى ناحية أخرى فهو يكره الوجود من نفسه ويكره نفسه من أجل الوجود .

سل الأطباء ما الذى يؤثر فى الجنين أشد تأثير ويخرجه شرساً حقوداً لئيما بالغريزة ؟ انهم يجيبونك إن هذا يحدث حتما مقضياً اذا كانت الأم فى أشهر حملها لا تفكر مثلا الا فى الحقد على رجل غدر بها والغيظ من لؤمه الخ فيجيء الجنين مصنوعا فى هذا المعمل ؟؟ ولن يفلح فيه بعد ذلك أدب ولا تهذيب ولا علم

لو كان العقاد يرضى ان يقال عنه إنه مترجم لأنصف نفسه وأراحها ولكنه يزعم — فى وقاحة أهل الشوارع — ان لا عبقرى غيره . فاذا ذهبت تقرأ كتبه رأيت أحسن ما يكتبه هو أحسن ما يسرقه وهذا أمر مجمع عليه ومع ذلك لا يريد اللص الا أن يعد من أرباب الأملاك ! ! !

تأمل أسماء كتبه : « ساعات بين الكتب مراجعات فى الأدب والفنون . مطالعات فى الكتب والحياة » ماهذا ؟ هل هى الا اللصوصية الأدبية تسمى نفسها من حيث لا يشعر الأحمق ؟

واذا ذهب كل انسان يقرأ الكتب التي تعد بالملايين ويلخص كل كتاب فى مقالة أو مقالات فهل يعجز عن هذا العمل أحد وهل يكون كل الناس عباقرة لأنهم قرؤا وفهموا وسرقوا ولخصوا ؟ لقد هانت العبقرية وأصبح خمسة آلاف من طلبة البكالوريا فى هذه السنة وحدها خمسة آلاف عبقرى أنجبتهم مصر فى عام

ويدعى العقاد أنه إمام فى الأدب فخذ معنا فى تحليله ، أما اللغة فهو من أجهل الناس بها وبعلومها وفى مقالته فى مقتطف شهر يونيو الماضى تراه يجيء مرتين فى موضعين مختلفين بكلمة « الاثنى عشر » منصوبة من حيث لا يجوز الا رفعها ، وقلما تخلو مقالة له من لحن ، وأسلوبه الكتابى أحمق مثله فهو مضطرب مخل لا بلاغة فيه وليست له قيمة وهو يقر بذلك ولكنه يعلله أنه لا يريد غيره فهم نحن أنه لا يمكنه غيره هو من جهة اللغة والبيان ساقط لا يكابر فى هذا ، أمسك هذه المقدمة أولا ثم خذ

منه نتيجتها . نتيجتها أنه شاعر عبقرى أهبه نزل عليه الوحى فما قيمة ذلك إذا كان لايجيء الا فى أسلوب سخيف ؟

للعربية سرها فى تركيبها و بيانها فاذا أهملناه صارت العربية (كلام جرائد) يصلح لشيء ولا يصلح لشيء آخر يصلح ليقرأ و يلقى و لا يمكن أن يصلح للغد والاحتفاظ به .

وأنت تقرأ شعر العقاد فتجد فيه شيئين متباينين — بل متناقضين — الأول بعض أبيات حسنة لا بأس بها و الثانى ألوف من الأبيات السخيفة المخزية التى لا قيمة لها . لا فى المعنى ولا فى الفن ولا فى البيان فعلام يدلك هذا ؟ يدلك بلاشك أن الأبيات الحسنة مسروقة جاءت من قريحة أخرى وطبيعة أخرى غير هذه الذى تعصف بالغبار و الأقذار فان الشاعر القوى لابد أن يتسق كلامه فى الجملة ، واذا نزل بعض كلامه لعارض ما لم ينزل الا طبقة — واحدة أو ما دونها . اما العقاد فيتزحزح من مائة درجة عندما يسمو . يعنى يسرق فى بيت او بيتين .

نحن نفتح الآن ديوان هذا السخيف كما يتفق ونخرج . مناصفة . وكن واثقا أننا لن تفتح صفحة دون ان تقع على سخافات كثيرة . انظر قوله صفحة ٢ « لسان الجمال » :

يامن الى البعد يدعونى ويهجرنى * أسكت لسانا الى لقياك يدعونى
أسكت لسان جمال فيك أسمعه * فى كل يوم بأن ألقاك يغرينى

هذان البيتان لا بأس بهما ثم يتدحرج بعدهما نازلا . وفى الشطر الاول غلط كغلط الجرائد والروايات السخيفة حين تقول (دعاه الى ان يبتعد) ولا معنى لكم دعاه هنا لانها لاتفيد الا الاقبال وهو يريد ضده . وكان الأفصح أن يقول فيهجرنى ليكون الهجر مرتبا على رغبة صاحبه فى ابعاده فيصور اجزاء المعنى بألوانها . والبيت الثانى تكرار لنصف البيت الأول . وقد تجوز العرب فى قولهم : نطقت الحال بكذا لأن المنظر كالمنطق فالمجاز قريب شائع . ولكن البرود كله ان يقول سمعت وجهك يقول كذا او سمعت لسان جمالك يقول كذا فان هذا يقتضى نطقا حقيقيا فيما لا ينطق الا مجازا وبهذا ينحط المعنى .

واذا كان للجمال فى هذا الحبيب الذى مانظنه بربريا أسوانيا ـــ لسان، فلا يعقل ان يكون اما للسان فى غير فم خصوصا بعد ما قال « أسمعه » وإذن صار الحبيب حيواناً عجيباً فى ظاهر أعضائه أعضاء، وما معنى قوله اسمعه فى كل يوم . اذا كان لسان الجمال ناطقا أبدا فالصواب فى كل حين أو فى كل وقت واذا كان أخرس لا ينطق الا مرة فى اليوم فيكون تعبيره حينئذ صحيحا وهذا غير ما يريد المتشاعر

هل تريد الآن أن تعرف اصل المعنى على أدق وأجمل ما يتأتى فى الشعر. انظر قول العباس بن الأحنف

أريد لأدعو غيرها فيجرنى لسانى اليها باسمها كالمغالب

فقلب المتشاعر المعنى وجعل الذى يغالبه لسان الجمال وبذلك سقط الشعر لان ابن الأحنف أراد أن الحبيبة هى غالبة على ارادته فيجره لسانه إلى اسمها إذا أراد أن يبتعد عنه . والعقاد جعل لسان الجمال يدعوه فقط لايجره جراً إذا أراد الحبيب أن يبعده عنه .

وقد عبر أبو تمام أحسن تعبير عن هذا المعنى بقوله

هى الشمس يغنيها تودد وجهها إلى كل من لاقت وان لم تودد

وتأمل قوله « يغنيها تودد وجهها » فهى كلمة بالعقاد وكل شعره :

نحن نعبث بهذا المتشاعر ونفسح له مهربا كمهرب الفأر بين أظافر الهر لايرسله يميناً إلا ليضربه شمالا . وانما سرق المتشاعر من قول القائل :

تكلفنى هجرانها بلسانها ويدعو اليها حسنها بلسان

وهذا معنى كثير فاش تجده فى الغزل وفى المديح أيضاً وهو فى الشعر الأوروبى أكثر منه فى الشعر العربى

بجانب هذه القطعة قطعة أخرى معربة عن شكسبير يقول فى البيت الثالث منها :

ومالت على أذنيه حتى كأنه ليسمع منها شجوها والتندما

فما هذه اللام فى « ليسمع » ؟ لام عقادية ولا شك ،أى سخافة و تخليط ، ان هذه اللام لا تأتى إلا زيادة فى التوكيد، وهنا كأن للتشبيه لا للتوكيد أى لم يقع بل كأنه فلا توكيد فى الكلام ولا محل لتلك اللام مطلقا إلا أنها من جهل المتشاعر ويقول فيها :

تهدقوى الثبت المريرة من جوى فتعرقه إلا مشاشا وأعظما

فسر « تعرقه » بقوله : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام ، فاذا كان هكذا فمعنى البيت (تكشط اللحم وتبقى العظام إلا العظام !!!) أهذا بيان أم هذيان ؟ ونفتح صفحة ٣٠ فاذا قطعة فى العقاب الهرم يقول فيها :

ويثقله حمل الجناحين بعدما أقلاه وهو الكاسر المتقحم

يريد بالكاسر مثل قول الجرائد التى يتعلم فيها (حيوان كاسر وأسد كاسر) وهو خطأ لأن هذه الكلمة لاتقال إلا للطائر حين يكسر جناحيه للوقوع ويقول بعد هذا البيت :

جناحين لوطارت لنصت فدومت شماريخ رضوى واستقل يلملم

قال فى الشرح : التدويم تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة (كذا) الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا (كذا) هما والجبال سواء » . ماالذى فهمت أيها القارىء من هذا الشرح ومن سخافة النظم ؟ يريد المتشاعر أن جناحى العقاب الهرم جمدا فلا يطيران فلوهما طارا لطارت فى الجو شماريخ جبل رضوى وقام جبل يلملم بطير فانظر أى اضطراب وأى حمق وأى سخافة ولماذا رضوى ويلملم دون حملايا والألب ؟ ويقول

لعينيك يا شيخ الطيور مهابة يفر بغاث الطير عنها ويهزم

بغاث الطير ضعافها وما لا يصيد منها ، ومنه قولهم (ان البغاث بأرضنا يستنسر) يريدون ان البغاث ـ مع كونه ذليلا عاجزا ـ لو نزل بأرضنا لانقلب نسرا . فأية قيمة للمهابة التى تفر منها ضعاف الطير ؟ أو ليس المعنى الطبيعى الشعرى هو قول ابن حجاج

وكل باز يمسه هرم ترى على رأسه العصافير

وفى صفحة ٣٢ الليل والبحر يقول :

ضل هادى العيون واحلولك الليل فلا فرق بين أعمى وهر ! ! !

ولهذا الظلام خير من النور اذا كنت لا ترى وجه حر

هنا تظهر سخافة هذا العقاد بأجلى مظاهرها فكلامه لئيم وأسلوبه لئيم وسرقاته

لئيمة . يريد أنك ما دمت لا ترى وجه حر من الناس فالظلام خير من النور . ماألامها ما ألامها . ألا يغور هذا المتشاعر فى الأرض وهو يعرف أنه يسرق ألام سرقة من قول القائل

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر

أعرفت الآن سخف العقاد ولؤم شعره وركاكة بيانه المتهدم وأنه يمشى فى الشعر على رجلين من الخشب ! ! ! !

وفى صفحة ٣٧ يزعم المتشاعر انه يعارض ابن الرومى ولو بصق ابن الرومى لغرق العقاد فى بصقته . يقول

فى كل روض قرى للزهر يعمرها يا حبذا هى أبيات وسكان

ولا أدل على جهل العقاد بالنحو والعربية من هذا فان (ابيات وسكان) هنا فى هذا التركيب يجب ان تكون منصوبة على التمييز وقد جعلها مرفوعة لأنه جاهل جهلا صريحا . ويقول فيها:

نفاه عن عرس الدنيا شواغله ان الحداد عن الأعراس شغلان

من أى لغة جاء (بشغلان) ؟ من قول العامة : عاملها شغلانة ! ! ! !

ومن مضحكات هذه القصيدة

بالغصن شبهه من ليس يعرفه وانما هو للرائين بستان ! !

وهل نما قط فى غصن على شجر آس وورد ونسرين وسوسان؟

اذن هذا الحبيب أشجار مختلفة . اما تشبيهه قده بالغصن فخطأ فى رأى المتشاعر ويجب أن يشبه قده بالحقل ! ! ! أليس هذا الخلط أسقط ما يمكن أن تعثر بمثله فى أسخف الشعر فى أحط الأزمنة ؟ ولكن العقاد مجدد ! ! مجدد ايه وهباب أيه ! ! انظر الأصل الذى سرق منه لابن الرومى

لاى أمر مراد بالفتى جمعت تلك الفنون فضمتهن أفنان

تجاورت فى غصون لسن من شجر لكن غصون لها وصل وهجران

تلك الغصون اللواتى فى أكنتها نعم وبؤس وفرح وأحزان

ما أجمل هذا التصوير وأبدعه فى جعل ثمار تلك الغصون الانسانية نعما وبؤسا

وأفراحا وآلاما لاكما صنع المغفل الذى جعلها آسا وورداً ونسريناوسوسانا ولوكانت القافيةلامية لحسبناه يجعلها بصلا وثوما وكراثا وفجلا !!! على أن المتنبى أشار الى ذلك المعنى إشارة رقيقةفى قوله : مظلومة القدفى تشبيهه غصنا . ولوكان فى طبع المتنبى الغزل لأبدع واستوفى المعنى ولكنه فى الغزل ضعيف جدا يقلد غيره

ويقول العقاد

يا من يرانى غريقا فى محبته وجدا . ويسألنى هل أنت غصان ؟

يعنى إيه ؟ الغصان من به غصة وهى ما يعترض فى الحلق فيساغ بالماء . فما معنى ان يكون الغريق غصان ؟ الظاهر ان هذا العامى المتشاعر ظن أن الغصان معناه الظآن والغريق لا يسأل هل أنت ظآن لان الماء يملأ حلقه وجوفه .

وانظر قول البحترى حين لاح له مثل هذا المعنى

كان يحيى ميتا من ظمأ بعض ما أوبق ميتا من غرق

انظر الفرق بين الشاعر الحقيقى مثل البحترى والمتشاعر الدعى الغبى مثل العقاد الذى يقول

إنى الى الرعي من عينيك مفتقر يا ضوء قلبى فان القلب مدجان

فسر (مدجان) فى الشرح بقوله : غائم !!! ومدجان مفعال صيغة مبالغة فكيف تاتى صيغة المبالغة من الرباعى أى فعل أدجن ؟ والظاهر أن هذا العامى فهم من معنى (الرعى) النظر، مع ان قولهم رعاه الله لا يكون الا بمعنى حفظه فالمعنى انه مفتقر الى ان تحفظه عينا الحبيب ! ! لان قلبه مدجان .

الحق ان الذى يقرأ هذه القصيدة ويقول ان العقاد شاعر وأنه يعرف العربية لايكون الا مغفلا بل من أشد المغفلين ، وزعم ناظمها أنه شاعر واتيانها فى ديوانه هو الدليل على انه مغفل، ودليل آخر على أنه مغفل قوله:

والشعر من نفس الرحمن مقتبس * والشاعر الفذ بين الناس رحمن !!!

لا نشير الى إلحاد هذا الدعى الزميم فهو يباهي به، ولكنه لما كان يدعى لنفسه انه شاعر فذ فكأنه فى رأي نفسه اله !!! أغيثوه بطبيب مستشفى المجانين أيها الناس

قالوا ابن آدم من قرد فقلت لهم: * كلا ولكن فى النجر ثعبان

يعني فى الأصل ، وهذا رد من العقاد . داروين وماتركه الى هذا المعني الامن لؤمه وأذاه وطوله

.ونفتح الآن صفحة ٦٠ فنراه يقول يصف امرأة فى حمام البحر

البحر يغضب وهى ضاحكة * شتان بين السخط والسخر

وتميل من ظهر الى بطن * طورا ومن بطن الى ظهر

هذا دليل جديد على جهل الرجل بالعروض فان آخر الشطر الاول من البيت الثانى عروض حذاء مضمرة والاضمار مع الحذذ لا يقع الا فى الضرب ، اى فى آخر البيت ومعنى هذا انه لا يجوز ان يقول فى هذا الوزن (الى بطن) بسكون الطاء بل يجب أن يكون فى مكان الطاء حرف متحرك .

فخطأ فى النحو وخطأ فى اللغة وخطأ فى العروض وسخافة فى المعنى ولؤم فى السرقة وغباوة فى الذوق . ماذا بقى منك ايها الدعى لتكون شاعرا به ؟ ، وفى صفحة ٦٥ :

فاكتب على هذا الزمان ذنوبه * انا نؤجله الحساب الى الغد

ومع سخافة المعنى عدى (أجل) الى مفعولين وهو لا يتعدي الا الى مفعول واحد ونقلب الآن صفحة ١٠٥ ضيق الأمل :

شر ما يلقى الفتى أجل * ضيق عن واسع الأمل

انظر غباوة اللص لتعرف أنه لص وقابل هذا البيت بقول القائل

أملى من دونه أجلى * فمتى أفضى الى أملى ؟

أليس هذا هو الشعر وأليس كلام العقاد هو الهذيان . أعرفت الآن أن هذا السخيف الأسوانى لص يسرق من الجوهرى ويبيع فى سوق الكانتو !!! ؟

(. . .)

« العصور » فتحنا هذا الباب لأننا نعتقد بأن الصحف إنما وجدت لتكون ميداناً تتحرر فيه الافكار وتظهر فيه نزعات الكتاب على حقيقتها . لهذا نرحب بكل نقد ونفتح هذا الباب على مصراعيه لكل كاتب سافراً كان أو مقنعاً